تنمية البيئة وحمايتها من منظور إسلامي تربوي

بقلم: أ.د/ مصطفى محمد رجب(*)

لقد خلق الله الدنيا بما فيها من منافع وثروة وخيرات، وسخرها جميعًا تسخير تمكين وانتفاع، واقتضت حكمته تعالى أن يخلق فيها من يستعمرها ويفيد من خيراتها ويحافظ على نعم الله فيها، فلابد أن يتق الله فيما أنعم عليه، ويشكره بالحفاظ على نعمه الكثيرة، ويلتزم بمنهج الإسلام فى حماية البيئة.

المبحث الأول

الإنسان ومسئولية الخلافة فى الأرض

أولاً: تكريم الإنسان واستخلافه

خلق الله الإنسان فى الأرض ثم استعمره فيها، قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[هود:٦١]. فى حين يشارك الإنسان على هذه الأرض مخلوقات وكائنات أخرى من حيوانات ونباتات وغيرها، غير أن الله -سبحانه وتعالى- فضّل الإنسان على سائر المخلوقات، وسخرها لخدمته، ومكنه من الانتفاع بها. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾[الإسراء:٧٠].

وحتى يتمكن الإنسان من الانتفاع من هذه المخلوقات فقد[١] أوجدها الله على هيئة من التوازن، بحيث لا يطغى بعضها على بعض، ولا يدمر بعضها بعضًا، الأمر الذى قد يحول بين الإنسان والانتفاع بها، أو قد يحيل بعضها إلى مصادر ضرر عليه. قال تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾[الحجر:١٩].

وقد فتح الله للإنسان أبواب العلم على مصارعها؛ لعمارة الأرض التى استخلفها للإنسان؛ ليكون معمراً لها غير أنه اكتشف تفتيت الذرة، فصنع منها القنابل، وخرب بها الديار، وقضى على الإعمار، وخلق بعد ذلك مئات الألوف من المشوهين والعجزة الذين يرون بطن الأرض خير من ظهرها[٢].

(*) أستاذ بكلية الشريعة - جامعة اليرموك.

(١) زيد محمد الرماني، "المنظور الإسلامى لمشكلة البيئة"، مجلة الوعى الإسلامى، العدد ٣٥٩ ديسمبر ١٩٩٥م، ص٤٢.

(٢) عاصم محمد بهجت البيطار، التلوث أولاً، التلوث ثانيًا، التلوث دائمًا"، مجلة الفيصل، العدد ٢٢٠ يناير ١٩٩٦م، ص ١٠٠-١٠١.

ولكن معالم الرسالة الإسلامية فى المحافظة على ما استخلف فيه الإنسان[1] تنبعث من القرآن الكريم حيث قال الله -تعالى-: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم ما لا تعلمون﴾ [البقرة:٣٠]. وقد نبه الله فى الآية والآيات السابقة على إعمار الأرض وعدم الإفساد فيها، فقال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[هود:٦١] ، وقال أيضًا: ﴿وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[هود:٨٥] .

لذا فإن الإنسان مقيد بمراعاة الاعتدال وتجنب الإسراف والبطر والتجبر، وكل ما من شأنه الإخلال بالتوازن البيئى. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾[الفرقان:٦٧] .

إن كل مكونات البيئة فى هذا الكون الفسيح قد أعدها المولى سبحانه وتعالى لاستقبال الحياة، ولكفالة الأحياء، فقال سبحانه:﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[لقمان:٢٠] .

ثانيًا: الحكمة من خلق الإنسان واستخلافه فى الأرض

إن الحكمة من خلق الإنسان واستخلافه على الأرض، وتسخير الكون، أدركها المسلمون وفسرها العلماء؛ لهذا تعامل المسلم مع بيئته بصورة متطورة، وحرص على استغلال المحيط الذى سخره الله بالعلم والوعى، فكان التغيير الذى عرفه المجتمع الإسلامى، ثم بوتيرة سريعة أفادت وأذهلت العالم. أمة انطلقت من صحراء قاحلة جرداء استطاعت فى ظرف وجيز أن تسيطر على بيئتها وتتحكم فيها بطرق ووسائل مبتكرة، واستغلت الموارد الطبيعية والبشرية لخدمة التنمية الشاملة.[1]

ومما ورد فى كتاب "فى ظلال القرآن الكريم"، للشيخ سيد قطب فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[البقرة:٣٠] .

---

(١) راغب محمد السيد، "الإنسان والكون فى القرآن الكريم"، مجلة الوعى الإسلامى، العدد ٣٣٩ إبريل ١٩٩٤م، ص٤٧.

(٢) الزبير مهداد، "العمل فى الفكر الإسلامى"، مجلة الوعى الإسلامى، العدد ٣٤٢، يوليو ١٩٩٤م، ص٧٣-٧٤.

".. وإذن فهى منزلة عظيمة، منزلة هذا الإنسان فى نظام الوجود على هذه الأرض الفسيحة، وهو التكريم الذى شاءه له خالقه الكريم...".

﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾[البقرة: ٣٠]

يوحى قول الملائكة هذا بأنه كان لديهم من شواهد الحال، أو من تجارب سابقة فى الأرض، أو من إلهام بصيرة ما يكشف لهم عن شىء من فطرة هذا المخلوق، أو من مقتضيات حالة على الأرض، وما يجعلهم يتوقعون ويعرفون أنه سيفسد فى الأرض ويسفك الدماء.. "لقد حفيت عليهم المشيئة العليا فى بناء الأرض وعمارتها وفى تنمية الحياة وتنويعها، وفى تحقيق إرادة الخالق وناموس الوجود فى تطويرها وترقيتها وتعديلها على يد خليفة الله فى أرضه"(١).

ثالثًا: الإسلام والاهتمام بالإنسان جسميًا وعقليًا وروحيًا

التعليم الإسلامى لم يكن أبدًا جانبًا فى الاقتصاد فقط، بل كان الوسيلة لإنشاء الفرد المسلم المستوعب للقيم الدينية، المتشبع بها، فاعتبر المسلمون التكوين المهنى جزء من عمل المؤسسة التعليمية الإسلامية، التى من أهدافها تربية الناشئة تربية شاملة تحقق الكمال الإنسانى الدينى والعقلى والبدنى.

يقرر ابن سينا (ت: ٤٢٩هـ) أن توجيه الطفل نحو التكوين المهنى يجب أن يتم بعد انتهاء الطفل من تعلم القرآن الكريم، ومعرفة الدين الإسلامى، وحفظ أصول اللغة العربية، بعد ذلك ينظر إلى ما يراد أن تكون صناعته فيوجهه لطريقه(٢).

ويشترط ابن سينا لمؤدب الطفل إذا أراد توجيهه إلى صناعة ما أن يزن طبعه ويختبر ذكائه، وعلى ضوء نتائج هذه الفحوص والاختبارات يختار له الصناعة الملائمة.

(١) سيد قطب، "فى ظلال القرآن الكريم"، المجلد الأول، القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٠م، ص٥٦-٥٧.
(٢) الزبير مهداد، "الإسلام والتربية العقلية"، مجلة الوعى الإسلامى، العدد ٣٤٢، يوليو ١٩٩٤م، ص٧٤.

... إلى جانب التكوين المهني الخاص السليم والشامل، يجب توجيه الاهتمام إلى صحة الإنسان النفسية؛ لضمان سلامة نموه العقلي والنفسي، وتحقيق تكيف ذاتي واجتماعي متوازن؛ لأن السبيل نحو سلامة المجتمع يمر حتمًا عبر سلامة الأفراد.

لكي تصبح التربية العقلية قدرات ومهارات فعلية لابد لها من حافز يخرجها من حيز العلم والمعرفة إلى تجربة عملية يتنفع بها الفرد والمجتمع[1].

كما أكسب الإسلام التربية العقلية هذا الحافز عندما فرّق بين الذين يعملون والذين لا يعملون، فقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾[الزمر ٩]. وقال ﷺ: «من سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سهّل الله له طريقًا إلى الجنة..» (رواه مسلم عن أبي هريرة).

رابعًا: الشريعة والبيئة والإنسان

إن الشريعة الإسلامية- ومن خلال القرآن الكريم والسنة النبوية- وضعت تصورًا شاملاً للبيئة شمل الإنسان، والحيوان، والنبات، والجماد، والماء، والهواء، وجعل الإنسان مكرمًا على سائر المخلوقات، وسخرت له انطلاقًا من قاعدة الاستخلاف.

لقد أسست الشريعة الإسلامية مبدأ سد الذرائع إلى الفساد أيًا كان نوعه؛ تفسيرًا للتعامل مع البيئة بما يدرأ عنها المفسدة إبان التصرف السيء في المباحات أو الحقوق، فضلاً عن المجاوزة والعدوان. إن الالتزام بنظافة البيئة من الأمور الأساسية التي حرص عليها الرسول الكريم ﷺ، وأوصى بها إلى المسلمين إذ نص أكثر من حديث على أن النظافة من الإيمان، والحق أن إفساد البيئة وتلويثها المضني لها إنما يبدأ من تلويثها اليسير أو عدم الالتزام بالنظافة وإماطة الأذى عن البيئة[2].

---

(١) محمد السيد المليجي، "الإسلام والتربية العقلية"، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٣٦٥، يونيو ١٩٩٦م، ص٢٦.

(١) زيد محمد الرماني، "المنظور الإسلامي لمشكلة البيئة"، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٣٥٠، ديسمبر ١٩٩٥م، ص٤٣.

وقد قال الرسول ﷺ: «*إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، فنظفوا أفنيتكم ولا تتشبهوا باليهود*»(رواه الترمذى). وقد عنى الإسلام عناية خاصة بنظافة البيئة باعتبارها المحل الذى يقيم فيه الإنسان، ويحصل فيه على احتياجاته، ويمارس فيه عبادته لربه، وأعماله التى تعينه على مواجهة متطلبات الحياة، كما ترتبط نظافة البيئة فى الإسلام ارتباطًا مباشراً بالطهارة، والطهارة فى اللغة هى: النزاهة من الأقذار، وفى الشرع تعنى: "رفع ما يمنع الصلاة من حدث أو نجاسة"[1].

(١) محمد السيد أرناؤط، "التلوث البيئى وأثره على صحة الإنسان"، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة الدار اللبنانية، ١٩٩٧م، ص٢٢٨-٢٣٧.

المبحث الثانى
الإسلام ودعوته إلى الحفاظ على البيئة ومواردها

إن موارد البيئة هى من أجل نعم الله على البشر، وأن الله قد أعطانا جميعًا حق الانتفاع بها، فلا يحق لطائفة الاستئثار بها دون غيرها، والإنسان وصى على البيئة؛ لأنه خليفة الله فى الأرض، ووصى على البيئة وليس مالكًا لها، فعليه من هذا المنطلق أن يأخذ منها بقدر مع أداء حق هذه النعمة وشكرها بالمحافظة عليها، وبإعطاء حق الله فيها للمحتاجين.

أولاً: دعوة الإسلام إلى المحافظة على نعم الله

إن شكر النعمة عامل من عوامل استدامتها. قال تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد﴾[إبراهيم:٧]. وكفران النعمة مدعاة لزوالها. قال تعالى: ﴿ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾[النمل:١١٢].

إن المحافظة على مكونات البيئة جزء من عقيدة المؤمن. قال ﷺ: «*الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق*»(رواه البخارى ومسلم).

ويجب علينا أن نتعامل مع البيئة من منطلق القواعد الفقهية الأصولية العامة، مثل درء المفاسد مقدم على جلب المصالح (ولا ضرر ولا ضرار)[1].

ثانيًا: حرص الإسلام على حماية البيئة

لقد حذر الإسلام من كل تغيير كمى وكيفى فى مكونات البيئة الحية وغير الحية؛ لأن ذلك سوف يؤدى إلى عدم مقدرة الأنظمة البيئية على استيعابها دون أن يختل توازنها، وبالتالى حدوث التلوث البيئى، ولقد خلق الله -سبحانه وتعالى- الكون وفيه

(١) عبدالحكم عبد اللطيف الصعيدى، "البيئة فى الفكر الإنسانى والواقع الإيمانى"، الطبعة الثانية، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٦، ص١٤٩.

توازن بيئي متكامل بين الكائنات الحية وغير الحية[1]، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر:٤٩].

كما أن السنّة المطهرة تذخر بما يؤكد هذا التصور الإسلامي بين الإنسان وما تحتويه بيئته من موجودات حية وغير حية، فقد كان رسول الله ﷺ يقول عن جبل أحد وهو يدلله تدليل الصديق: «هذا جبل يحبنا ونحبه». ومن البين أن افتقاد البشرية لهذا البعد الإيماني، والشعور النفسي القائم على المعرفة الصحيحة لطبيعة العلاقة بين الإنسان والبيئة[2]؛ لذا يجب علينا اتباع المنهج الإسلامي في تحقيق الأمن البيئي.

ثالثاً: مراقبة الله والحفاظ على جمال البيئة

لمّا كان الجمال مقصوداً قصداً في خلق الكون، وكان البعد الجمالي ضرورياً في علاقة الإنسان بالبيئة، فإن ما يحدث في عصرنا في علاقة الإنسان بالبيئة، وما يحدث في عصرنا من أشكال التلوث البيئي المختلفة يجب النظر إليه على أنه اعتداء أثيم على توازن البيئة المحكم، وتشويه متعمد لشكلها الجمالي الذي جعلها الله عليه، ومن ثم يكون العمل على حماية البيئة من مختلف أشكال التلوث والفساد والإبقاء على الجمال في صفحات الكون مطلبًا إسلاميًا تستحث لأجله الهمم، وتُستثار العزائم[3].

رابعاً: حرص الرسول ﷺ على النظافة وحماية موارد البيئة

يأمر الرسول ﷺ -حفاظًا على البيئة وعلى الإنسان- أتباعه بالنظافة البدنية، ونظافة المسكن، ونظافة الشوارع والساحات العامة المحيطة بالبيوت؛ لأن نظافة المسكن من نظافة ساكنيه، ونظافة المدينة من نظافة أحيائها، فالقمامة المتراكمة تجذب الحشرات الناقلة للمرض، فالذباب المنزلي، وذبابة اللحم تنقل أمراضًا متعددة[4].

---

(١) حمدي عبد العزيز السمداوي، "التلوث البيئي والإعجاز العلمي في القرآن الكريم"، مجلة الوعي الإسلامي"، العدد ٣٨٠، أغسطس/ سبتمبر ١٩٩٧م، ص٥٢.

(٢) أحمد فؤاد باشا، "البيئة ومشكلاتها من منظور إسلامي"، مجلة الأزهر، الجزء السابع نوفمبر/ ديسمبر ١٩٩٦، ص١٠١٩.

(٣) أحمد فؤاد باشا، المرجع السابق، ص١٠٢٠.

(٤) أحمد فؤاد باشا، المرجع السابق، ص١٠٢٠.

ولم يفت المصطفى ﷺ أن يوصى الإنسان بأمن بدنه نظافته لحمايته من الأوبئة والأمراض. عن أبى هريرة -رضى الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «*من بات وفى يده ريح غمر فأصابه فلا يلومن إلا نفسه*» (١).

وكان ﷺ أحسن الناس مظهراً وأجملهم ثيابًا، وكان يحث أصحابه على نظافة ملابسهم، فقد رأى ﷺ رجلاً عليه ثياب متسخة فقال: «*أما كان هذا يجد ما يغسل به ثوبه*»(رواه أبو داود). فالرسول بقوله هذا يدعو المسلمين إلى عدم تقليد هذا الرجل بترك ملابسهم متسخة، وقد جعل الإسلام طهارة الثياب شرطًا لصحة الصلاة(٢).

ونظافة المكان دليل على الإيمان، فقد حث الرسول ﷺ على نظافة البيوت فقال: «إن الله طيب يحب الطيب جواد يحب الجواد، كريم يحب الكرم، نظيف يحب النظافة، فنظفوا أفنيتكم ولا تتشبهوا باليهود»(رواه أبو الترمذى).

خامساً: الاقتداء بالسنة النبوية يحفظ الإنسان من خطر التلوث

ولم يفت المصطفى ﷺ أن يوصى الإنسان بأمن بدنه ونظافته لحمايته من الأوبئة والأمراض. عن أبى هريرة -رضى الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «*من بات وفى يده ريح غمر فأصابه فلا يلومن إلا نفسه*» . وريح الغمر أثر الأطعمة والدهون العالقة بيد الإنسان، وهنا يأمرنا الرسول ﷺ بالنظافة لحماية بيئتنا الذاتية الشخصية الخاصة بكل فرد منا، فهناك العديد من الحشرات التى تمرح ليلاً باحثة عن طعامها، وتجذبها رائحة الدهون والفضلات، ولعل من أهم هذه الحشرات الصراصير والجراد والبراغيث، فالصراصير التى ترد على القاذورات وتلوث أطعمتنا وبعض أجزاء من جسمنا هى خير ناقل ميكانيكى لكثير من الطفيليات البدائية والترشيحات (الحمى الراشحة).(٣).

---

(١) عواد جاسم الجدى، "الأمن البيئى من منظور إسلامى"، مجلة الوعى الإسلامى، العدد ٣٥٠ شوال ١٤١٥، ص٧١.

(٢) محمد السيد أرناؤوط، "التلوث البيئى وأثره على صحة الإنسان"، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة الدار اللبنانية، ١٩٩٧م، ص٢٢٨-٢٣٧.

(٣) المرجع السابق.

لايزال التاريخ يحتفظ بسجلاته عن كوارث الطاعون، ذلك الوباء الخطير، ولا تزال فى الذاكرة حوادث انتشار الطاعون فى الهند فى الأعوام السابقة، حيث عزلت عن العالم.، وأوقفت كافة الخطوط الجوية العالمية رحلاتها إلى هناك، وقد قال الرسول ﷺ عن الطاعون: «*الطاعون بقية رجز أو عذاب أرسل على طائفة من بنى إسرائيل، فإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فراراً منه، وإذا وقع بأرض ولستم بها فلا تهبطوا عليها*» (رواه البيهقى والترمذى). فى هذا الحديث الشريف إشارة واضحة ودليل قاطع على الاحترام والمحافظة على البيئات النظيفة الخالية من الأمراض والتلوث، وحصر البلاء والوباء فى بيئة المنشأ؛ لكى لا ينتقل إلى البيئات الأخرى.

سادساً: الإسلام والبيئة والتربية الجمالية

لا شك أن الإسلام يدعو إلى الجمال فى كل شىء؛ ولذا قال المولى -تبارك وتعالى-: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[الاعراف:٣١]. ففى هذه الآية حث على التزين والجمال عند الذهاب إلى المسجد، وحث على النظافة لأنها دليل الإيمان. التربية الجمالية تعبير يقصد به الجانب التربوى الذى يوافق وجدان الفرد[1] وشعوره، ويجعله مرهف الحس مدركًا للجمال، فيبعث ذلك فى نفسه السرور والارتياح، ويرتقى وجدانه، وتتهذب انفعالاته، وكل هذا يساعد على قوة الإرادة وصحة العزيمة، ومن هنا نقصد بذلك دعوة القرآن الكريم للنظر والتدبر فى آيات الكون ومفردات الطبيعة، والانفعال بها؛ لأن ذلك يربى عند الإنسان شعوراً جماليًا يتمثل فى الانسجام الدافئ بينه وبين الطبيعة يقوده من خلال جمالها إلى معرفة جلال الله -تعالى- إلى إدراك وحدانيته سبحانه وتعالى بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[الزمر:٢١].

---

(١) محمد السيد المليجى، "الإسلام والتربية الجمالية"، مجلة الوعى الإسلامى، العدد ٣٧٤، فبراير ١٩٩٧، ص٧٦-٧٧.

والتربية الجمالية تدعو أيضًا إلى المحافظة على الأشجار وتحث على زرعها؛ لأن ذلك يؤدى إلى تحسين البيئة وجمالها لأن "... الأشجار والنباتات ليست فقط مصدر للغذاء، وإنما تشكل مخزون للطاقة التى تنطلق عند تحلل المواد العضوية المعقدة أو عند احتراق أعشابها أو عند التغذية على ثمارها، كما أن الأشجار والنباتات منظومة أخذ وعطاء مع الهواء والأرض، فهى تمتص أكاسيد الكربون وتطلق غاز الأكسجين فى الهواء، وتنبت التربة وتحميها من التصحّر منها العناصر المعدنية وتنقل إليها المواد الأزوتية العضوية"[1]؛ لذا يجب المحافظة على الأشجار والدعوة إلى التشجير.

* * *

(١) جهاز شئون البيئة، "البيئة علم وسلوك"، القاهرة، دار إلياس العصرية، ١٩٩٤م، ص١٢.

المبحث الثالث
التلوث البيئي ودور الإسلام في الوقاية منه

أصبحت قضايا ومشكلات البيئة محل اهتمام مكثف على مختلف المستويات، فهي موضوع الساعة في الوقت الحالي، بعد أن تبين للعالم أنها ذات تأثير عظيم الخطر على بني الإسلام أينما وجدوا، ليس فقط في الحاضر، وإنما أيضًا في المستقبل، والإسلام بدعوته يقوم على وجوب المحافظة على البيئة وجمالها التي خلقها الله -سبحانه وتعالى-؛ لكي ينعم الإنسان بجمالها ويستفيد من خيراتها، ولكي يشكر الإنسان ربه عظيم الشكر على ما أنعم عليه. ويجدر بنا أن نخص هذا العنصر بمزيد من الاهتمام والتوضيح والتفصيل وذلك من خلال العناصر الآتية:

أولاً: النظافة أولى خطوات حفظ البيئة

الالتزام بنظافة البيئة من الأمور الأساسية التي حرص عليها الرسول ﷺ، وأوصى بها إلى المسلمين، إذ نص أكثر من حديث على أن النظافة من الإيمان، والحق أن إفساد البيئة إنما يبدأ من تلوثها اليسير أو عدم التزام النظافة، فعن معاذ بن جبل -رضي الله عنه- قال رسول الله ﷺ: «*اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل*»، هذا الحديث الشريف قاعدة عظيمة وقانون من قوانين الأمن البيئي؛ حيث تسعى الأمم المختلفة اليوم جاهدة لسن المزيد من هذه القوانين، في حين أشار الرسول ﷺ إلى ذلك منذ زمن بعيد، كما أشار إلى الموارد المائية والنباتية حيث يعتبر المورد المائي اليوم من الموارد الهامة التي تعرضت للتلوث.

ثانيًا: التلوث البيئى والإعجاز العلمى للقرآن الكريم

لقد نهانا القرآن الكريم عن الإخلال بالنظام البيئى[1] وإحداث خلل فى التكامل البيئى الذى خلق الله الكون عليه؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ﴾[البقرة: ١١-١٢].

لعل الإعجاز العلمى للقرآن الكريم فى هذا المقام يتمثل فى التنبؤ بظاهرة التلوث البيئى ثم بيان أسبابه حينما ينبهنا المولى -عز وجل- إلى أن التلوث يكون نتيجة لإخلال الإنسان للنظم البيئية المتكاملة التى خلق الله الكون عليها، وفى النهاية حذرنا الله سبحانه وتعالى من العبث بقانون التكامل البيئى، ولقد أدرك الإنسان هذه المعانى الكريمة فى الآونة الأخيرة، وقامت الحملات، وعقدت المؤتمرات الدولية التى من شأنها التحذير من تدخلات الإنسان.

لقد أدرك الإنسان معانى القرآن الكريم، وأنه صالح لكل زمان ومكان، وأنه خالد لتوجيه وإرشاد الناس إلى كل خير وإلى ما فيه صلاح حالهم؛ ولذلك قامت الحملات وعقدت المؤتمرات الدولية التى من شأنها التحذير من تدخلات الإنسان للإخلال بالنظم البيئية، ومن الآيات التى حذرت الناس من إهدار البيئة بتلويثها وإتلاف مواردها الطبيعية. قال الله -تعالى-: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[يونس:٢٤].

ثالثًا: ملوثات البيئة وآثارها الحضارية

من الجدير بالذكر أن تأثير الإنسان على توازن البيئة بدأ منذ ظهوره على الأرض، ولقد مر ذلك بمراحل مختلفة، فالإنسان البدائى من القناص والصياد، وحتى الراعى والزارع، كان تأثيره على البيئة بسيطًا، شأنه فى ذلك شأن الكائنات الحية التى كانت

(١) حمدى عبد العزيز السعداوى، "التلوث البيئى والإعجاز العلمى فى القرآن الكريم"، مجلة الوعى الإسلامى"، العدد ٣٨٠، أغسطس/ سبتمبر ١٩٩٧م، ص٥٢ بتصرف.

تعتبر منافسة له، وكان سلوك الإنسان وتأثيره جزئي بنظام البيئة. ولكن إشعال الحرائق في الغابات لايزال يستخدم كوسيلة للصيد تعمد إلى ذلك مجتمعات بدائية لإكراه الحيوانات على الفرار مما يسهل صيدها.

وأضيف إلى الحرق قطع الأشجار وأكل الجذور وقطع الثمار؛ لتجعل كل هذه الأشياء حياة الإنسان ممكنة في هذه العصور القديمة.

وفي بداية عصر الاكتشافات الجغرافية الكبرى كانت هناك مناطق شاسعة غير مستعملة عمليًا، غير أن هذه الحالة لم تستمر وفي أقل من مائتي عام عمدت الدول الاستعمارية الأوروبية، -وكانت تملك وسائل قوية للتدمير- إلى استخدام سياسة حرق الأرض ودون أن تنتبه إلى الآثار البيئية التي يمكن أن تحدث نتيجة لاستخدام تلك السياسة[1].

ومن الآثار السلبية للتلوث فقد "كثر التلوث الذي تعرضت له مياه سانت لورانس والبحيرات العظمى في أمريكا الشمالية[2]؛ وذلك بسبب النفايات الصناعية التي طالما ألقيت ومازالت تلقى في تلك المياه، فقد دلت الإحصاءات الكندية مؤخرًا أن هذا التلوث قد بطش بحيتان تلك المياه إن لم يدمر حياتها تدميرًا".. "كما وصل التلوث في بعض البحيرات (بحيرة ايريا)[3] التي تساوي مساحتها مساحة إقليم بريتاني الفرنسي إلى درجة جعلت السلطات المسئولة تمنع الاستحمام فيها وتعلن محذرة أن الواجب يقضي تلقيح كل من يسقط فيها بمصل التيتانوس".

رابعًا: التلوث بالمبيدات الحشرية وخطره على صحة الإنسان

تستخدم المبيدات الزراعية لحماية الإنتاج الزراعي في مختلف الآفات بهدف زيادة الإنتاج، وتتواجد متبقيات المبيدات في معظم أنواع الخضر والفاكهة ودهون اللحوم والطيور والأسماك والألبان، والأحشاء الداخلية، وبعض الغدد الغنية بالدهن.

---

(١) إبراهيم سليمان عيسى، "تلوث البيئة أهم قضايا العصر"، مجلة الوعي الإسلامي"، العدد ٣٤٩، رمضان ١٤١٥هـ ص٦٦.

(٢) "سلامة البشرية في سلامة البيئة"، مجلة العربي، العدد ٣٥٧، أغسطس ١٩٨٨م، ص١٢٩.

(٣) إبراهيم سليمان عيسى، "تلوث البيئة أهم قضايا العصر"، مجلة الوعي الإسلامي"، مرجع سابق ص٦٤.

ترجع خطورة هذه المبيدات إى أنها تؤثر على الجهاز العصبى بصفة خاصة وتحدث خللا فى وظائف أعضاء الجسم المختلفة مثل: الكبد، والكلى، والقلب، وأعضاء التناسل، بل يسرى التأثير إلى أهم مكونات الخلية، حيث تحدث تأثيرات وراثية أو سرطانية أو تشوه خلقى فى المواليد، وخطورة هذه المبيدات ليس فقط فى إحداث التسمم الحاد الذى قد يؤدى إلى الوفاة، وإنما إلى حدوث سمية مزمنة من خلال تناول الأفراد جرعات ضئيلة ولفترات طويلة من حياتهم.

ومن أسباب التلوث بالمبيدات الإسراف والاستخدام السيئ لها خلال إنتاج وتجهيز وتناول الغذاء، ويزيد من خطورة المبيدات الكيماوية عدم الإلمام بكيفية التخلص أو التقليل من بقاياها بالأغذية المختلفة[1].

ولابد من وضع برنامج للحد من هذه المشكلة وذلك عن طريق:

١- تحديد المشكلة ووضع ضوابط لها لمنع الأخطار البيئية والتأكيد على النواحى المرتبطة بالصحة.

٢- تنمية المهارات فى متابعة القضايا البيئية والتنبؤ بما قد يحدث من مشكلات.

٣- تنمية الوعى وتكوين الاتجاهات الخاصة بالعناية بالبيئة وحمايتها.

٤- تشجيع إجراء البحوث المتعلقة بختلف النواحى البيئية.

خامساً: التلوث وتأثيره على طبقة الأوزون

لم يقتصر عبث الإنسان بالتوازن البيئى إلى حد التأثير على الظروف المناخية للأرض، بل إن الأمر وصل إلى حد التأثير على طبقة الأوزون، فالأوزون هو شكل من أشكال الأكسجين موجود فى الطبقات العليا من الجو، يحول دون وصول كميات كبيرة من الإشعاع الذى تبثه الشمس على الموجات فوق البنفسجية، فإذا فسد أو قضى عليه

(١) جهاز شئون البيئة، "الأسرة والغذاء والتلوث"، القاهرة، مطابع الأهرام بكورنيش النيل، ١٩٩٤م، ص٧-٩.

فإن الأرض تصبح عندئذ معرضة لمزيد من الأشعة الضارة، مما يؤثر على حياة كل الكائنات الحية[1].

هناك مؤشرات عديدة تؤكد أن حزام الأوزون يتعرض للدمار والتحليل نتيجة لتدخل الإنسان والإخلال بنظام التكامل البيئى، فالنفايات التى تخرج من مداخن المصانع والمواد الكيماوية المستخلصة من الفلور كربونات مثل الأيروسول وغاز الفريون وغيرها من الملوثات.

من الآثار الضارة الناتجة عن الغازات السامة مثل غاز أول أكسيد الكربون، فقد يتعرض الفرد العادى للإصابة بتسمم غاز أول أكسيد الكربون، نيتجة لتسرب الغاز من الأنابيب الناتج من إحراق الفحم المستخدم فى التدفئة، أو من مواقد الغاز، وكذلك فى الحمامات، وذلك لعدم وجود تهوية جيدة كافية، وأكثر ما تحدث الإصابة إذا أدرت محرك السيارة وبخاصة إذا كان حظيرة السيارة مغلقة[2].

كما يحتل التحطيب مكانًا بارزاً من بين مشاكل البيئة جميعها، فتقطيع الأشجار لاستعمال خشبها وقودًا للطبخ والتدفئة هو الذى يقضى على غابات العالم فيؤدى إلى تلف الأوزون وهو الذى يتسبب فى تعرية التربة بحيث تفقد القدرة على الاحتفاظ بمياه الأمطار[3].

سادساً: أثر تلوث المياه على البشرية

يعتبر الماء من أساسيات الحياة على الأرض وكل مخلوق عليها، وقد أصبحت البحيرات والأنهار مستودعًا كبيراً لنفايات بعض أكثر المواد ضرراً على الإطلاق،

---

(١) حمدى عبد العزيز السعداوى، "التلوث البيئى والإعجاز العلمى فى القرآن الكريم"، مجلة الوعى الإسلامى"، العدد ٣٨٠، أغسطس/ سبتمبر ١٩٩٧م، ص٥٣.

(٢) أحمد عبد المنعم عربود، "التسمم بأول أكسيد الكربون"، مجلة الوعى الإسلامى، العدد ٣٦٧، أغسطس ١٩٩٦م، ص٤٢.

(٣) "سلامة البشرية فى سلامة البيئة"، مجلة العربى، العدد ٣٦١، ديسمبر ١٩٨٨م، ص٣٠.

والنفايات الأشد سمية التى يمكن التخلص منها فى المجارى المائية تشمل النسبة الكبرى من الـ ٧٠ ألف مادة كيميائية تركيبية تكرر فى بيئتنا، فتسمم مجارى المياه الطبيعية ويدمر النظم البيئية التى تعتمد عليها حياتنا نحن بنى البشر.

يلاحظ أن مياه البحيرات تتلوث وتتحول إلى بحيرات سامة بسبب الأسمدة التى تزيد من تكاثر الطحالب.

ومما يذكر فى هذا الصدد أن نسبة الأكسجين انخفضت فى بعض البلدان، ويلاحظ أن البحر المتوسط يتعرض لخطر التلوث والتسمم خلال الخمسين سنة القادمة؛ لأنه أقل اتساعًا من المحيط الأطلنطى والمحيط الهادى[١].

ومن مصادر تلوث المياه أيضًا "الزراعة: ثمة مصادر ثلاثة للتلوث الزراعى، وتتمثل فى المبيدات والأسمدة الكيماوية والأسمدة الحيوانية، فبقايا المبيدات التى تترشح إلى المياه الجوفية تقوم بتسميم مصادر المياه الصالحة للشرب، وتصبح مركزة فى السلسلة الغذائية، وتساهم الأسمدة الفسفورية والنيتروجينية فى عملية التفاعل فى المجارى المائية، حيث يؤدى تزايد الإنتاج النباتى إلى استنفاد موارد الأكسجين[٢].

ومن مصادر تلوث المياه.. المجارى. إن مياه الصرف الصحى التى تعتبر أشهر أنواع الملوثات المائية تتألف من النفايات الحضارية والصناعية.

سابعًا: التلوث السمعى وآثاره الضارة

التلوث كما عرّفه العالم هو: أى تغيير فيزيائى أو كيميائى أو بيولوجى مميز، ويؤدى إلى تأثير ضار على الهواء أو الإضرار بالعملية الإنتاجية كنتيجة للتأثير على حالة الموارد المتجددة، إذن من خلال التعريف نجد أن من أنواع الملوثات هو الضوضاء التى تؤثر على الإنسان وهو التلوث السمعى[٣].

---

(١) عصام الشيخ قاسم، "أزمة تلوث المياه فى العالم"، مجلة الكويت، العدد ١٤٣، سبتمبر ١٩٩٥م، ص٨٢.

(٢) إبراهيم سليمان عيسى،، "تلوث البيئة أهم قضايا العصر"، مجلة الوعى الإسلامى"، العدد ٣٤٩، فبراير ١٩٩٥م، ص٦٤.

(٣) منى قاسم، "التلوث البيئى والتنمية الاقتصادية"، الطبعة الثانية، القاهرة، الدار اللبنانية المصرية ١٩٩٧م، ص٤٨.

والضوضاء لها نتائج خطيرة وهى: الإرهاق السمعى، والصمم المهنى، والصدمات السمعية، وإن الإرهاق السمعى يتسم بزيادة مؤقتة فى قوة السمع، وهو يبدأ من ٩٠ ديسيبل، وأن الإحساس لضوضاء معينة يقل بتأثير ضوضاء أوضح وأقوى.

وهناك نتائج أخرى قد تكون أكثر خطورة مثل الخلل فى العصب السمعى الناتج عن الضوضاء (اضطرابات سمعية) الذى يتميز بفقدان القدرة على السمع، وقد ترجع أسباب الضوضاء إلى الانفجارات.

وهناك نتائج نفسية للضوضاء[١]، وتظهر بصفة أساسية فى الأحلام والآلام فى الرأس، وفقدان الشهية، والشعور بالضيق والتعاسة، وبالنسبة للعمل والمهام الذهنية والعقلية والفكرة نجد أن للضوضاء آثاراً ضخمة، ولقد لاحظنا فروقًا محسوسة فى الإنتاج بين العمل الذى يؤدى فى جو هادئ والعمل الذى يؤدى فى جو كله ضوضاء، ومن الثابت أن الضوضاء تسبب ٥٠٪ من الأخطاء فى العمل.

ثامنًا: الرسول هو القدوة الحسنة في عدم الضوضاء ومراعاة شعور الآخرين

أمرنا الرسول ﷺ أن نقدم كل ما هو خير للمسلمين؛ لأنهم أخوة فى الله، وقد نهانا عن إيذاء الناس فى أحاديث كثيرة منها ما ورد عن أبى هريرة -رضى الله عنه- قال رسول الله ﷺ «المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله، كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه، التقوى ها هنا...»[٢].

اتصف ﷺ بحسن معاملته لكل من خالطه ليستوى فى ذلك الخادم والسيد، والفقير والغنى، والمرأة والرجل، فيروى أنه ﷺ ما نهر خادمًا وما ضرب بيده شيئًا قط إلا أن يكون جهاداً فى سبيل الله، قال أنس -رضى الله عنه-: "خدمت النبى ﷺ عشر سنين فما قال لى أف قط ولا قال لشىء صنعته لما صنعته، ولا لشىء تركته لما تركته"[٣].

---

(١) روبرت لافون، "التلوث"، ترجمة: نادية القبانى، جنيف (سويسرا)، ١٩٧٧م، ص٩٥.

(٢) الإمام النووى، "رياض الصالحين"، القاهرة، دار النيل، ص٩٥.

(٣) عبد العظيم سيد الطنطاوى، "خصائص الأخلاق فى الإسلام وغاياتها"، مجلة الوعى الإسلامى، العدد ٣٥٠، مارس ١٩٩٥م، ص٦٦.

كما أن القرآن الكريم نهى عن الجلبة والضوضاء فى آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾[لقمان:٨]. وقال أيضًا فى سورة الحجرات نهيًا عن رفع الصوت: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾[الحجرات:٢].

تاسعًا: حل مشكلة التلوث البيئى للمحافظة على البيئة ومواردها

خلال العقود الأخيرة تعالت صيحات التحذير من أخطار التلوث البيئى التى تصيب الحرث والنسل، فى عام ١٩٨٨م أعلن العلماء فى مؤتمر عقده برنامج البيئة التابع للأمم المتحدة أنهم يتوقعون لمستوى البحر الأبيض المتوسط أن يرتفع بسبب تزايد سخونة الجو، بما يتراوح بين ٥٥ , ١٣ سم قبل حلول عام ٢٠٢٥، وأن يرتفع بحدود ٢م خلال قرنين من الزمان، ويغمر أغلب المدن الساحلية[١].

ولم يعد موضوع تلوث البيئة مشكلة إقليمية محسورة فى منطقة دون أخرى، وعلى العالم كله السعى لمعالجة الآثار السلبية المترتبة عليها، ويعتبر موضوع تلوث البيئة من قضايا الساعة التى تواجه البشرية جمعاء، وعلى كل البشرية أن تجد وتجتهد حتى تجد خلاصًا من هذه المحنة، ولحل هذه المشكلة يجب اتباع الآتى:

١- يجب الاهتمام بالاستثمارات لحل هذه المشكلة فى علاج المخلفات بأنواعها، ودراسة الآثار الاقتصادية لعمليات إعادة الاستخدام لما لذلك من أثر إيجابى من حيث درء مشاكل التلوث من ناحية، وإيجاد عوائد مادية للمشروع من جهة أخرى نتيجة إعادة تصنيع المخلفات.

٢- يجب العمل على القضاء على ظاهرة المقالب المفتوحة (القمامة) لما لها من آثار ضارة سواء على صحة الإنسان أو الحيوان.

(١) أحمد فؤاد باشا، "البيئة ومشكلاتها من منظور إسلامى"، مجلة الأزهر، الجزء السادس، أكتوبر/ نوفمبر ١٩٩٦، ص٨٦١.

٣- إنشاء هيئات متخصصة للتعامل مع القمامة من الجمع والنقل، أو التخلص، على أن تكون مستغلة، وإنشاء إدارة مركزية تشرف على متابعة هذا الموضوع.

٤- التوسع فى إنتاج أكياس القمامة، والعمل على تخفيض أثمانها عن طريق استخدام مخلفات البلاستيك.

٥- حث الناس على الإقلاع عن التدخين، لما له من آثار ضارة على الصحة والبيئة.

عاشراً: المنهج الإسلامى للإصلاح البيئى

إن المنهج الإسلامى فى التعايش السلمى مع البيئة منهج شامل، فهو كلٌ لا يتجزأ ووحدة متماسكة، والإسلام يضع لكل تصرفات الإنسان الضوابط والقيود التى تحد من طغيانه وطموحه، ففى الحديث: «نعم المال الصالح للعبد الصالح» ففى نماء ثروة الأفراد ونقائها نماء لثروة الأمة ونفعًا لأبناء الكون كافة؛ ولهذا فقد حرّم الإسلام الإسراف والتبذير وجعل المبذرين إخوان الشياطين، كما نبه الإسلام إلى النظافة وعدم الإفساد بالبيئة، ومن الأدلة القرآنية على عدم إفساد البيئة قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[البقرة:١٩٥].

والرسول ﷺ له أحاديث كثيرة ينهى فيها عن الإضرار بالغير وعدم الإفساد بالبيئة؛ لأنها نعمة من الله يجب الحفاظ عليها، وواجب على من يرى ذلك أن يمنع هذا الضرر، فقال ﷺ: «*من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان*»(١)، وقد نهى الله -سبحانه وتعالى- فى آيات كثيرة عن الإفساد فى الأرض فقال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[الاعراف:٥٦].

ومن خلال ما تقدم يجب وضع حلول للوقاية من هذه المشكلة، ومن هذه الحلول:

١- تنمية الوعى البيئى، وإيجاد حلول للمشكلات البيئية، والحث على عدم إقامة مشكلات بيئية جديدة، وتقدير عظمة الخالق فى الكون.

٢- وقاية المجتمعات البشرية من التأثيرات الضارة لبعض عوامل البيئة، ووقاية البيئة من النشاط الإنسانى الضار، وتحسن نوعية البيئة وتطويعها لصحة الإنسان ورفاهيته.

المبحث الرابع
دعوة الإسلام إلى العمل وتنمية الموارد وعمارة الأرض

إن العمل غاية إنسانية وواجب اجتماعي ووسيلة لتحقيق الرخاء البشري، وتلبية حاجات الناس، وهو في الإسلام من القيم الدينية التي ترقى إلى مستوى العبادة؛ لأنه يحقق الحكمة من خلق الإنسان ووجوده على الأرض.

أولاً: العمل في الفكر التربوي الإسلامي

التربية الإسلامية عملية إعداد للإنسان بتثقيفه ورعايته وإصلاح شأنه، وتعهده ليكون شخصية إسلامية مهتدية، قادرة على القيام بمسئولية الاستخلاف على الأرض بالالتزام بالمسئوليات والواجبات التي حددها الله -تبارك وتعالى-.

العمل وسيلة لتفتيح شخصية الإنسان وتهذيبها وصياغتها بما يتفق وما جاءت به العقيدة الإسلامية من تشريعات وآداب[1]. وقد حث القرآن الكريم على العمل في قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾[القصص:٧٧].

ولما كان الإسلام يريد تحرير الإنسان من الداخل، بمعنى أن يشعر بعزته وكرامته معتمداً على نفسه، كان نظام المكاتبة حيث يكاتب العبد سيده على جعل يؤديه إليه في مدة زمنية، فإذا وفّى بعهده يكون قد اكتسب مهارة وقدرة على الاعتماد على النفس، فإذا كان وقت عتقه كان حراً من الداخل.[2]

ثانياً: أهمية العمل في الإسلام

اهتم الإسلام بالعمل وأعلى من قيمته في المجتمع؛ لما له من دور هام في بناء الأمة الإسلامية، وتحقيق نهضتها بين الأمم والمجتمعات المعاصرة. العمل في الإسلام يقصد

١) الزبير مهداد، "العمل في الفكر الإسلامي"، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٢٤٢، يوليو ١٩٩٤م، ص٧٢-٧٣.
٢) حيدر قنه، "معالجة الإسلام للبطالة والفقر"، مجلة منار الإسلام، العدد العاشر، فبراير ١٩٩٨م، ص٧٣.

به الكسب فرض عين على المسلم؛ لأن إقامة الفرائض تقتضى حتمًا قدرة بدنية ونفسية وهذه لا تتأتى إلا بطعام ونفقة.(١)

هناك أدلة على أهمية العمل فى الإسلام، منها قول الرسول ﷺ: «إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليفعل» (رواه أحمد عن أنس بن مالك).

العمل والتنمية وجهان لعملة واحدة، فالعمل طريق للتنمية، والتنمية نتيجة للعمل؛ ولذا "..... إن إحداث التنمية والتقدم ورفع مستوى معيشة المجتمع ومواجهة القضايا الجوهرية، والاستخدام الأمثل للموارد هى المعايير التى ينطلق منها التاريخ فى إصدار أحكامه الموضوعية والقطعية على مجتمع من المجتمعات، وتقرير ما إذا كان هذا المجتمع على مستوى تحديات عصره ومتغيرات زمانه أم إنه كان مجتمعًا قاعدًا قانعًا بدور المشاهد لفصول الحياة، مفضلاً ذلك على أداء دور فاعل يكفل له المنزلة والمكانة على المسرح الدولى"(٢).

إن العمل لا يقتصر على المتمتعين بالصحة، وإنما يشارك المعوقون بقدر المستطاع فى العمل؛ وذلك لرفع روحهم المعنوية، وإشعارهم بوجودهم وإفادتهم لأنفسهم ومجتمعهم؛ ولذا حددت الأمم المتحدة فى قرارها خمس أهداف رئيسية:(٣)

١- مساعدة المعوقين على التكيف الجسمانى مع المجتمع.

٢- تشجيع كل الجهود المبذولة على الصعيدين الوطنى والدولى.

٣- تشجيع مشاريع الدراسة والبحث الرامية إلى تيسير مشاركة المعوقين فى الحياة.

٤- تثقيف الجمهور وتوعيته بحقوق المعوقين.

٥- تشجيع اتخاذ تدابير فعالة للوقاية من العجز، وإعادة التأهيل.

---

(١) السيد أحمد المخزنجى، أهمية العمل فى الإسلام"، مجلة الأزهر، العدد الخامس، أكتوبر ١٩٩٦م، ص٦٧٢.

(٢) عبدالرحمن بن سبيت السبيت، "القوى البشرية والمسئولية الوطنية"، مجلة كلية خالد العسكرية، العدد ٤٣، ربيع وصيف ١٩٩٤م، ص١١.

(٣) أحمد خليفة المهدى - محمد توفيق أحمد، "المعوقون بين مطرق الحياة وسندان المجتمع"، مجلة الضياء، العدد ٤١، فبراير ١٩٩٦م، ص٤٢.

ثالثًا: الإسلام ومعالجته للبطالة والفقر:

إن مشكلة البطالة والفقر ليست مشكلة حديثة تعانى منها مجتمعات اليوم، بل هى مشكلة قديمة قدم التاريخ، وبرزت مع الإنسان منذ الخليقة، إلا أنها تظهر بوضوح فى مجتمعات أو بيئات وتستتر فى أخرى.

مما لا شك فيه أن الحضارة والتقدم زاد هذه المشكلة[1] بروزًا ووضوحًا؛ وذلك لأن البطالة -على سبيل المثال- لم تكن ظاهرة فى المجتمعات الرعوية ولا فى المجتمعات الزراعية فيما بعد، بيد أنها تظهر مع ظهور المجتمعات الصناعية، وازدادت أكثر فى المجتمعات المدنية التى نال أفرادها حظًا من التعليم.

ومن المفارقات العجيبة أن يكون التعليم أحد أسباب البطالة؛ ذلك لأن الذى نال حظًا من التعليم يرفض العمل الذى لا يتوافق مع الدرجة العلمية التى وصل إليها، وكلما صعد فى مدارج الشهادات المكتسبة قلت فرص العمل أمامه؛ لفارق المستوى بين الواقع والمفترض المتخيل، ولكن على الشباب الكفاح والعمل من أجل لقمة العيش بأى عمل مناسب.

الإسلام تصدى لمشكلة البطالة لأنها يتولد عنها الفقر[2] ويتولد عن هذا الثنائى المتلازم سلوك معوج يؤدى إلى الجريمة، ومن فضل الله أن الجريمة الناشئة عن ذاك الثنائى -بطالة وفقر- قليلة النسبة فى معظم المجتمعات، فالجريمة ليست نتيجة مطلقة تتولد عن البطالة والفقر، وقد حث الإسلام على العمل فى قول المولى -عز وجل-: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[التوبة:١٠٥].

رابعًا: الإسلام والعمل يحرران الإنسان من الداخل

رسّخ الإسلام فى نفس المسلم عقيدة أن الرزق من الله، فهو الرزاق ذو القوة المتين،

(١) حيدر فقه، "معالجة الإسلام للبطالة والفقر"، مجلة منار الإسلام، العدد العاشر، فبراير ١٩٩٨م، ص٧٣.
(٢) المرجع السابق، ص٧٤.

وأن لكل نفس منفوسة رزقها، ولن تموت حتى تستوفى هذا الرزق بكامله، ولا يملك أحد منع الرزق عن صاحبه إن أراد الله ذلك، ولا أن يأتى به أحد إن حجبه الله -تعالى، كما أن الخلق كلهم -مهما علا شأنهم- لا يملكون الرزق لأحد، فإن جاء رزق على يد[1] واحد منهم فهو من الله -سبحانه وتعالى-، وما الناس فى ذلك إلا وسائل ووسائط ليس إلا، فالله تعالى يقول: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[الذاريات:٢٢-٢٣].

وقد وردت أحاديث وآيات قرآنية تدل على فضل العمل، وأن العمل وسيلة وسبب فى الرزق، وفى هذا يقول المولى -تبارك وتعالى-: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[الذاريات:٥٦-٥٨]. ويقول الرسول ﷺ: «*يا أيها الناس اتقوا الله وأجملوا فى الطلب فإن نفسًا لن تموت حتى تستوفى رزقها وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب خذوا ما حل ودعوا ما حرم*»[2].

ويقول الرسول ﷺ فى حديث نبوى: «*إن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله*»[3].

خامسًا: حث الإسلام على العمل وعدم التواكل

إذا كان الرزق من الله -تعالى- وهو متكفل به، وإن النفس لن تموت حتى تستوفى رزقها، وأن الرزق يطلب صاحبه كما يطلبه أجله، إلا أن هذا الرزق غيب محجوب عن العبد؛ ولذا لا يعلم العبد ما هو رزقه، فترتب على ذلك السعى من أجل هذا الرزق، فالرزق سيأتى سيأتى ولكن يحتاج إلى وسيلة، ولابد أن تكون وسيلة شريفة، ومن هنا كره الإسلام الكسل والاتكالية، وحضّ على العمل والسعى.. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[الملك:١٥]. وهنا

(١) حيدر قفه، "معالجة الإسلام للبطالة والفقر"، مرجع سابق، ص٧٤.

(٢) رواه ابن ماجه، واللفظ له، والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم، الترغيب والترهيب.

(٣) رواه ابن حبان فى صحيحه، والطبرانى، "منار الإسلام"، ص٧٤.

ربط عجيب بين أمور أربعة: تذليل الله للأرض، وجعلها سهلة حض المسلم على الحركة، والدعوة للمشى فى مناكبها مقاومة للكسل والخمول، والأكل من رزق الله الذى ينتج عن هذه الحركة، ثم التذكير باليوم الآخر لاستقامة الوسيلة.

قال رسول الله ﷺ: «*ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده*»(١). وكان من دعائه: «*اللهم بارك لأمتى فى بكورها*»(٢)، وكان عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- يقول: "لا يعقد أحدكم عن طلب الرزق، ويقول: اللهم ارزقنى وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة وأن الله -تعالى- يرزق الناس بعضهم من بعض"، وكان يقول أيضًا: "إنى لأرى الرجل فيعجبنى فأقول أله حرفة فإن قالوا: لا. سقط من عينى".

(١) رواه البخارى فى "الترغيب والتهذيب"، جـ٢، ص٥٢١، رقم(١).

(٢) رواه النسائى والترمذى وابن ماجه وأبو داود وابن حبان، "منار الإسلام"، ص٧٤.

المبحث الخامس
استراتيجية إسلامية للتنمية الاقتصادية

كيف نصل إلى استراتيجية إسلامية لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية؟ وما هي وسائل تحقيق هذه الاستراتيجية؟ وكيف يمكن تحقيق أهداف هذه الاستراتيجية؟ تشكل الإجابة عن هذه الأسئلة هدف هذه السطور والتي تتركز حول الوصول إلى استراتيجية لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية في ضوء الإسلام ومبادئه وأصوله.

أولاً: المبادئ الإسلامية لتحقيق التنمية[1]

المبدأ الأول: الاستعانة بالمبادئ الإسلامية

الاستعانة بالمبادئ الاقتصادية الإسلامية، فقد ثبت بالدليل القاطع أن الإسلام دين ودنيا وسلوك وعمل وأداء للتواصل والتقدم المنشود، فلابد من تكثيف الجهود من أجل الكشف عن الأصول والمبادئ الاقتصادية الإسلامية بلغة العصر.

المبدأ الثاني: وعي الفرد بدوره في صنع المستقبل

إن وعي الفرد بدوره في صنع المستقبل، فلابد من تحقيق الثقة للفرد، وتوفير المناخ الملائم لكي يبذل كل جهد نافع، فالاهتمام بالفرد كشريك أساس في العملية الإنتاجية من أثمن ما يملكه الوطن.

المبدأ الثالث: تطوير وسائل الإنتاج

فالإسلام وضع ضوابط للإنتاج بالمال والملكية، وتوزيع الدخل واستخدام عناصر الإنتاج المتاحة للمجتمع، وترك لنا أن نستخدم عقولنا في تطوير وسائل الإنتاج لنصل إلى الصيغ التي تتفق مع الدين.

المبدأ الرابع: تطوير الفكر الاقتصادي

إننا نحتاج إلى تطوير كامل للفكر الاقتصادي للوصول إلى التنمية[2].

---

(١) حمدي الحلواني، "استراتيجية إسلامية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية"، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٣٤٨، يناير ١٩٩٥م، ص٥٧.

(٢) المرجع السابق، ص٤٧.

ثانيًا: حث الإسلام على تنمية الثروة النباتية

لقد أنعم الله على الإنسان بنعم كثيرة منها أن سخر له الأرض ليقوم بزراعتها والاستفادة من خيراتها ومحاصيلها، ومن أهم هذه النعم محاصيل البقوليات، ولهذه الزراعة أهمية كبرى حيث أنها تمثل زاد التربة، ولحم الفقير، وأهمية البقوليات كثيرة منها: أن للبقوليات مكانة هامة فى سلم التنوع البيولوجى لما لهذه المجموعة النباتية من مميزات بيئية واقتصادية(١).

والثروة الخضراء التى أحدثتها العلوم والتكنولوجية فى الزراعة خلال فترة الستينات والسبعينات من هذا القرن، بدأت تواجه خطر الثورة المضادة بدعوة جديدة للعودة إلى الطبيعة وإقامة أنظمة زراعية بيئية تحاكى الطبيعة، وتدعو إلى التعلم من الفلاحين طرق الإنتاج التقليدية(٢).

النظام البيئى القائم فى التربية يعتبر نظامًا أيكولوجيًا متوازنًا قوامه الأجزاء الثلاثة للتربة: الصلب، والسائل، والغازى، وتكمن الفكرة الأساسية وراء الثورة الزراعية الجديدة بتصميم نظام زراعى بيئى يحاكى هياكل ووظائف أنظمة البيئة المحلية الطبيعية، وعلى الصعيد الاقتصادى والاجتماعى تركز الثورة الجديدة على المزارعين، وبهذا الأسلوب تصبح الزراعة الجديدة متوافقة ثقافيًا؛ لأنها تبنى مشروعاتها على أساس الجمع بين المعرفة التقليدية للمزارعين وعناصر العلوم الزراعية(٣).

ثالثًا: دعوة الإسلام إلى تنمية الثروة المائية والحيوانية

إن نظافة المياه من أهم وسائل الحفاظ على الصحة؛ ولذلك لما كان الماء أصل الحياة فى الكون كله حيث يقول الله -تعالى-: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء:٣٠]، فإن المحافظة على نظافته من التلوث والفساد تعد أساس المحافظة على الحياة بأشكالها

(١) عواد جاسم الجندى، "البقوليات زاد التربة ولحم الفقير"، مجلة الوعى الإسلامى، العدد ٣٦ يونيو ١٩٦٦، ص٥٨.
(٢) سيف الدين الاناسى، "فى بعض الرجوع تقدم بيئى"، مجلة العربى، العدد ٤٤٢، يناير ١٩٩٩، ص١٥٠-١٥١.
(٣) المرجع السابق نفسه.

المختلفة، وتحفل الشريعة الإسلامية بنصوص كثيرة تحث على حماية الماء من التلوث، فعن جابر رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: «*لا يبولن أحدكم فى الماء الراكد، ثم يغتسل فيه*»، وقوله ﷺ: «*أوكئو قربكم واذكروا اسم الله وغطوا آنيتكم واذكروا اسم الله*»[١].

والثروة المائية وما تحتويه الأنهار والبحيرات من أسماك مختلفة، لذا يجب علينا تنمية هذه الثروة المائية بشتى الطرق؛ وذلك لأن "الماء يعتبر من أساسيات الحياة على الأرض، وكل مخلوق عليها، فمن الإنسان حتى أصغر الكائنات الحية لا تعيش بدون الماء، وفى عالمنا هذا كميات وافرة من المياه تتركز معظمها فى البحار والمحيطات، والماء كمصدر طبيعى متوفر مباشرة للاستهلاك البشرى"[٢]، لذا يجب علينا تنميته والحفاظ عليه.

الثروة الحيوانية عنصر هام من عناصر الإنتاج القومى، فالإسلام بدعوته الصريحة إلى العمل والكسب الحلال يحثنا على بذل قصارى جهدنا للاعتماد على النفس، ومن وسائل هذا الإنتاج الحيوانى تربية الماشية بأنواعها المختلفة، لما تحتوى عليه من بروتينات وفوائد تعطى الإنسان المسلم القوة لكى يعمل ولكى يقوى على عبادة ربه سبحانه وتعالى.

رابعاً: التربية الاقتصادية وترشيد الاستهلاك

يجب تشجيع الفرد على الأخذ بأسلوب وأسباب التنمية فى الدول النامية مثل مصر، كما يجب تفهم عوامل البناء الاقتصادى مثل الادخار والاستهلاك والترشيد فى الاستخدام، والاستثمار الطويل المدى والقصير المدى، والتدريب على الإنتاج وتأصيل روح الخدمة والنظافة، وتشجيع الابتكار والادخار، وفى حديث رسول الله ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه» رفع الكفاءة مطلوب فى هذه الفترة وذلك بالتربية السليمة منذ الطفولة[٣].

---

(١) محمد السيد أرناؤوط، "التلوث البيئى وأثره على صحة الإنسان"، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة الدار اللبنانية، ١٩٩٧م، ٢٣٧.

(٢) عصام الشيخ قاسم، "أزمة تلوث المياه فى العالم"، مجلة الكويت، العدد ١٤٣، سبتمبر ١٩٩٥، ص٨٠.

(٣) حسين كفافى، "رؤية عصرية لخريطة مصر"، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩م، ص١٨٥.

وبالنسبة للتصنيع فهو عامل هام من عوامل زيادة الاقتصاد والإنتاج، "والصناعة وتطوير الزراعة وتنويع الإنتاج تشكل الجوانب الأساسية لكل جهد يرمى إلى تنمية سريعة لقوى الإنتاج، فإن شكل التصنيع ومعدلاته ومداه وطبيعته أمور تتوقف كلها بالنسبة لكل بلد على ظروفها المحددة وطبيعة موارده الزراعية والمعدنية والمالية، وعدد سكانه، وكثافته، ولكن التصنيع يظل دائمًا شرطًا ضروريًا للتنمية الاقتصادية"(٢).

إن الكفاية الإنتاجية تستخدم فى تنمية الثروة القومية وزيادة الدخل القومى، فإنها أيضًا من العوامل الهامة فى تمكين العمال من الحصول على مستوى أعلى فى الدخل، ورفع مستوى المعيشة وزيادة قدرتهم على شراء ما يحتاجونه من سلع وخدمات، ومنحهم أكبر قسط من الرعاية الاجتماعية والصحية، وبمعنى آخر تعد الكفاية الإنتاجية دعامة هامة من الدعامات التى تبنى عليها أسباب السعادة لبنى البشر وتحقيق الرفاهية.(٣)

خامسًا: استهلاك المياه وآثارها المدمرة ودور الإسلام فى الحفاظ على المياه

هناك آثار مدمرة ناشئة عن الإسراف فى استهلاك المياه، حيث يؤدى إلى إفساد عذوبتها، ومع استمرار الاستهلاك الزائد للموارد المائية تصبح عرضة للندرة؛ مما يؤدى إلى مشكلات لا حصر لها على المستويين الداخلى والخارجى، ويكفى أن ندرة المياه والصراع عليها كانت السبب فى تفجر معظم المشكلات التى ظهرت فى التسعينات(٣)، ويمكن أن يقوم الإعلام بدور فعال فى التوعية فى استهلاك المياه، والحرص على استغلالها الاستغلال الأمثل الذى يحقق الفائدة دون إسراف، وإعلامنا المصرى يقوم بهذا الدور الفعال الذى يثمر نتائج تفيد المجتمع كله من حيث توفر المياه الكافية لإقامة المشروعات الجديدة واستصلاح الأراضى الصحراوية مثل مشروع "توشكى" الذى

(١) شارل بتليم، "التخطيط والتنمية"، ترجمة: إسماعيل صبرى عبد الله، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٦، ص٢٤٦.
(٢) سعد عبد السلام حبيب، "مجتمعنا الجديد"، القاهرة، مطابع الدار القومية، ١٩٦٣م، ص١٧٨.
(٣) بركات عبد العزيز، "الإعلام الإسلامى ومشاكل البيئة"، مجلة الوعى الإسلامى، العدد ٣٥٨، فبراير ١٩٩٥م، ص٦٠.

سوف ينهض بمصر زراعيًا واقتصاديًا، ويحقق الاكتفاء الذاتي الغذائي.. لابد من توافر الوعي لدى المجتمع من حيث المحافظة على الأراضي الزراعية وعدم البناء عليها؛ لأن ذلك يهدد الثروة الزراعية، ويعتبر هذا إهدار لنعمة كبرى منحها الله -سبحانه وتعالى- للمجتمع.

سادسًا: دعوة الإسلام إلى عدم الإسراف في المأكل والمشرب

دعا الإسلام إلى التنعم بنعم الله -سبحانه وتعالى- من مأكل ومشرب، ولكن هذه الدعوة كانت تتصف بالتوسط والاعتدال وعدم الإسراف؛ لذا يقول المولى تبارك وتعالى في محكم التنزيل: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[الاعراف:٣١]. وفي هذه الآية تناول فضيلة من فضائل الإيمان وهي الاقتصاد في المعيشة بعيدًا عن سفه الإسراف وحماقة الشح، وهو خلق نبه عليه الإسلام مما يدل على ما يتسم به من سلوك المسلم الملتزم من حكمة وبصيرة في التعامل مع المال وغيره.(١)

سابعًا: الإسلام وضرورة تطوير القوى البشرية

يرتبط تقدم الأمم والشعوب ارتباطًا وثيقًا بالمسيرة التطويرية لأبنائها، فتتوقف مسيرتها عند مستوى ما يحمله هؤلاء في صدورهم من إيمان، وفي رؤوسهم من علوم، ويرتبط حركتهم إيجابًا وسلبًا بما يدخرونه من معارف في عقولهم، ومن ثم يظل الإنسان مهما مدت له الحياة مُطالبًا بتطوير علومه وإثراء معارفه؛ ليدفع حركة التقدم ويعزز قدرتها على الاستمرار.

إن أحداث التقدم والتنمية ورفع مستوى معيشة المجتمع، أو مواجهة القضايا الجوهرية والاستخدام الأمثل للموارد هي المعايير التي ينطلق منها التاريخ في إصدار أحكامه الموضوعية والقطعية على مجتمع من المجتمعات، وتقرير ما إذا كان هذا المجتمع على مستوى تحديات عصره ومتغيرات زمانه، أم أنه كان مجتمعًا قاعدًا قانعًا بدور المشاهد من فصول الحياة.(٢)

---

(١) السيد رزق الطويل، "الوسطية وموقعها في القرآن"، مجلة منبر الإسلام، العدد ٥٠، أكتوبر ١٩٩٦، ص٢٢.

(٢) عبد الرحمن بن سبيت السبيت، "القوى البشرية والمسئولية الوطنية"، مجلة كلية خالد العسكرية، العدد ٤٣، ربيع وصيف ١٤١٥هـ ص١١.

إن الحصول على نتيجة أفضل يتطلب بالطبع سياسات وبرامج قومية أفضل للتنمية الريفية -في مصر خاصة- مما عليه الآن؛ لأن الهدف من التنمية هو توسع نطاق النظام الريفي بزيادة حجم العناصر القائمة، وتقوية الروابط الراهنة، وإدخال آلات حديثة حتى تصل إلى درجة عالية من التطور والتنمية.

إن الزراعة المعتمدة على الأيدى العاملة[1] تميل إلى الأسلوب التقليدى، وهى زراعة جامدة وليس ثمة شك فى أن تحديث الأساليب الزراعية بالميكنة ضرورى.

* * *

(١) لورانس هيوذ، "التنمية الريفية"، ترجمة: نور الدين الزرارى، القاهرة، مؤسسة التعاون للطبع والنشر، ١٩٨٢م، ص٢٣٥.

المبحث السادس
دور المؤسسات التربوية والدينية والإعلامية في تنمية موارد البيئة والحفاظ عليها

أولاً: دور المدرسة في الوعي البيئي

للمدرسة دور فعال في المحافظة على موارد البيئة وتنميتها "وذلك حينما يشارك التلاميذ في العمل الميداني في البيئة المحلية، ويدركون آثار التفاعل بين الإنسان والبيئة، وكيف استطاع الإنسان أن يبذل جهوداً متواصلة من أجل استغلال موارد البيئة ومن أجل تطوير حياته وحياة الأجيال التالية"(١).

والمدرسة لها دور في إعداد التلميذ ليكون مواطنًا مستنيرًا ومشاركًا بفاعلية في تنمية وتطوير مجتمعه وبيئته، ومساعدته على إدراك وفهم ما له من حقوق وما عليه من واجبات تجاه مجتمعه، ومساعدته على فهم ما يدور في بيئته من مشكلات.

وللمدرسة دور في تزويد التلاميذ بالقدر الضروري من المعارف والمهارات التي تمكّنهم من أن يكونوا مواطنين منتجين في مجتمعهم وبيئتهم، ومشاركين في ميادين التنمية الشاملة المستديمة التي تضع في اعتبارها صيانة البيئة وحمايتها.

كما أن للمدرسة دور في التنمية الريفية وذلك في "التعليم العام الأساسي، ويشمل محو الأمية والحساب ومبادئ أولية في العلوم عن بيئة الطالب من أهداف المدارس الابتدائية والثانوية.. وأيضًا التعليم المهني وهدفه تنمية بعض أنواع المعرفة والمهارات ذات الصلة بأنشطة اقتصادية مختلفة"(٢).

كما لا يكفي أن تعمل الدولة على محو الأمية(٣) من الريف، بل يجب أن يدرك

---

(١) أحمد حسين اللقاني، فادعه حسن محمد سليمان، "التدريس الفعال"، الطبعة الأولى، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٥م، ص١١٤.

(٢) فيليب هـ كومبز، منظور أحمد، "مكافحة الفقر في الريف"، ترجمة: إلياس إسكندر، القاهرة، مؤسسة التعاون للطبع والنشر، ١٩٧٧م، ص٣٩.

(٣) فتحي عبد الفتاح، "القرية المصرية"، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، ص٤٦٣-٤٦٤.

الفلاحون أن محو أميتهم مسألة ضرورية للحفاظ على مصالحهم وحقوقهم، بل إن عليهم ألا ينظروا دائمًا إلى ما تقدمه إليهم أجهزة الدولة المختلفة، بل يقومون هم بأنفسهم بمبادرات ذاتية سواء فى محو الأمية وإنشاء النوادى.

ثانيًا: دور الجامعات في تنمية الوعى البيئى

للجامعة دور فعال وهام فى التنمية بشتى أنواعها، وأيضًا فى التوعية والمحافظة على البيئة ومواردها؛ ولذلك تتيح الجامعة الفرص أمام طلابها للحصول على قدر كاف من الوعى والمعرفة والثقافة العامة والتدريب على مهن كثيرة فى كليات الجامعة، من أجل التنمية، ومن أجل تحقيق الرخاء للوطن، ويمكن تلخيص دور الجامعة فى أربعة وظائف هى:

١- الثقافة العامة

عندما نتحدث عن الثقافة العامة نقصد حالة عقلية معينة، إلى جانب كونها حصيلة من المعرفة، فهى ترمى إلى تحرير الفرد المتعلم من الخزعبلات والجهل، وفى نفس الوقت تمنحه الإمكانات والقيم التى يتفاعل معها فى محاولة لأن يبدأ فى لعب دوره فى مجتمعه.

٢- مد المجتمع بالأفراد المتخصصين

تمد الجامعة المجتمع بالأفراد المتخصصين فى شتى المجالات والمناشط لإعداد أفراد قادرون بعد دراستهم الجامعية أن يعاونوا فى تسيير دفة الأمور فى المجتمع لخدمة أفراده، فلن تشق طرق بدون مهندسين، ولا يجد المرضى من يصف لهم الدواء بدون أطباء، بل لن يجدوا مستشفى ما لم تُبنَ لهم...[1].

٣- الدراسات العليا والبحوث

الدراسات العليا والبحوث تسعى باستمرار إلى توسيع آفاق المعرفة البشرية، فالإنسان بطبيعته يحب الاستطلاع، ويتميز العالم بروح وثابة للكشف عن الغامض والتعرف على المجهول.

---

(١) مصطفى رجب، "أهداف التعليم الجامعى"، مجلة الوعى الإسلامى، العدد ٣٤٤، سبتمبر ١٩٩٤م، ص٢٨ .

٤- الخدمة العامة

أصبحت الجامعة مركزاً للمعلومات، ومدت أذرعها في مراكز بعيدة تعلم كما نتعلم مسهمة في الإثراء العلمي للأفراد والجماعات، صار إذاً تراوح بين الفكر والعمل لتحقيق أهداف المجتمع ككل، وتقدم الجامعات اليوم خدمات عامة على مستويات شتى لترضي رغبات عديدة للمواطنين.(١)

ثالثاً: دور المؤسسات الدينية في التوعية البيئية

المسجد أول مدرسة في الإسلام تبنى الأجيال وتصنع الأبطال، وتعدهم خير إعداد، وعن طريقه يقوم كيان الأمة الروحي، كما أنه الأساس الذي يدعم وجودها المادي، وفي المسجد يتدارس المسلمون كتاب الله ويتلونه، ويؤدون الشعائر الدينية بإقامة الصلاة وذكر الله، وتبصير المترددين على المسجد في شئون الدين والدنيا، وصبغهم بالصبغة الإسلامية؛ لتكون لهم سلوكاً في حياتهم، وحتى لا يجرفهم تيار الرذيلة فيقضي عليهم.(٢)

فرسالة المسجد على هذا تعليمية، تخلص الإنسان من عار الجهل، وتخلع عليه لباس الفضيلة من الرذيلة، وهنا ندرك معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[العنكبوت:٤٥]. إذن فالصلاة والخطب المنبرية تدعو الإنسان إلى الالتزام بالضوابط الدينية التي تنهى عن الفحشاء وعن إيذاء الناس، وعن الإضرار بالبيئة، وتدعو أيضاً إلى النظافة وإلى التنمية بجميع أنواعها، وإلى العمل الذي يحقق الحرية للإنسان، وأيضاً إلى الوعي البيئي الصحيح.

رابعاً: دور الإعلام الإسلامي في تزويد المجتمع بالمفاهيم والتوعية البيئية

إن الإعلام النابع من الإسلام الملتزم بتعاليمه يطوع التكنولوجيا الحديثة، وكذلك أساليب الأداء في ضوء تعاليم الإسلام وتصوراته وحدوده في التخطيط والتنفيذ والمتابعة، سواء أكان ذلك على مستوى النظام الاقتصادي ككل أو على مستوى كل

---

(١) المرجع السابق، ص٢٧ .

(٢) جاد الحق على جاد الحق، "المسجد: إنشاء، ورسالة وتاريخاً"، هدية مجلة الأزهر، رمضان ١٤١٦هـ ص١٢-١٣.

عنصر من عناصر العملية الاقتصادية ..."[1]، ويتميز الدور الديني للإعلام بقوة مصداقيته وسرعة تأثيره وفاعليته؛ لأنه يجمع بين العمل الديني والإعلامي معًا، كما يحشد الجهد إلى التعليم ومحو الأمية..[2].

يمكن للإعلام الإسلامي أن يسلط الأضواء على الإمكانات غير المستغلة ويوجه أنظار أصحاب الرأى إلى مزايا وكيفيات استغلالها الاستغلال الأمثل، وأن يبذل الإعلام فى سبيل ذلك جهودًا منظمة لإقناع الناس خاصة الشباب بالانتقال إلى المجتمعات والمدن الجديدة، التى بدأت العديد من الدول الإسلامية فى إنشائها بتخفيف الضغوط على المدن الكبيرة الذاخرة بالمشاكل خاصة التلوث بأوسع معانيه.[3]

..كما أن الإعلام الإسلامى باعتباره دين العقل والعلم يجب أن يكون كجسر رابط بين العلماء والمتخصصين وصانعى القرار؛ للاستفادة من القاعدة العلمية المستمدة من البحوث والدراسات البيئية بحيث توضع موضع التنفيذ، ثم تأتى المرحلة الأخيرة من الجهود البحثية متمثلة فى توصيل النتائج بما فيها من دلالات للرأى العام..[4]، وذلك لأن الإعلام الإسلامى يهتم بالأخبار بشرط الواقعية والصدق فيها، ثم الفائدة العائدة على الناس من وراء نشر هذه الأخبار[5].

.. وقد أصبحت مشكلة التلوث الشغل الشاغل لجهات أجهزة علمية كثيرة، وأخذت الاهتمام الكبير فى معظم صحف ومجلات العالم، وأقيمت الكثير من المؤتمرات والندوات بهدف توعية الإنسان فى كل مكان بأبعاد وحجم مشكلة التلوث، ووضع القيود والقوانين التى تهدف إلى المحافظة على البيئة.[6]

❊ ❊ ❊

(١) بركات عبد العزيز، "الإعلام الإسلامى ومشاكل البيئة"، مجلة الوعى الإسلامى، العدد ٣٥٨، فبراير ١٩٩٥م، ص٥٩.

(٢) جلال حمام، "كيف يكون الإعلام سبيلاً لتحقيق الأمن"، المجلة العربية، العدد ٢٤٧ ديسمبر ١٩٩٧م، ص٨٤.

(٣) بركات عبد العزيز، مرجع سابق، ص٦٠.

(٤) المرجع السابق، ص٥٨.

(٥) حسن على محمد، "الإعلام الإسلامى"، هدية مجلة الأزهر، شعبان ١٤١٨هـ ص٢٢.

(٦) إبراهيم سليمان عيسى، "تلوث البيئة أهم قضايا العصر"، مجلة الوعى الإسلامى، العدد ٣٤٩ فبراير ١٩٩٥م، ص٦٣.